مجلة جامعة ام القرى للعلوم الاجتماعية

الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jss

القبلية الشبكية: إعادة إنتاج العصبية والديناميات السياسية في المجال الرقمي الكويتي خلال انتخابات ٢٠٢٤: دراسة إثنوغرافية رقمية

Networked Tribalism: The Reproduction of Asabiyyah and Political Dynamics in the Kuwaiti Digital Sphere during the 2024 Elections: A Digital Ethnographic Study

مرزوقة قويضي العازمي[١]، قياتي عاشور[٢]

١. قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت.

٢. قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بني سويف، جمهورية مصر العربية.

Marzouqah Q. Alazmi[1], Kayaty Ashour[2]

1. Department of Sociology & Social Work, College of Social Sciences, Kuwait University, Kuwait.
2. Department of Sociology, Faculty of Arts, Beni-Suef Univer-sity, Egypt.

تاريخ التقديم:15/02/26 تاريخ ارسال التعديلات:22/02/26 تاريخ القبول:26/02/26

Received:15/02/26 **Revised:**22/02/26 **Accepted:**26/02/26

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تفكيك افتراضات نظريات التحديث عبر فحص مفارقة «الحداثة المتشابكة» في الكويت، حيث أعادت الرقمنة إنتاج الولاءات القبلية بصيغ هجينة بدلاً من تآكلها. مستندةً إلى إطار «القبلية الشبكية» ومنهجية الإثنوغرافيا الرقمية المختلطة (تحليل ٥٠٠ تغريدة و٢٥ مقابلة) إبان انتخابات ٢٠٢٤، كشف البحث عن تحولات بنيوية جوهرية، أبرزها: انتقال السلطة من مركزية الديوانية إلى «حراس بوابة» رقميين، تحول التكافل المالي إلى ممارسات أدائية لتعزيز رأس المال الرمزي، وبروز «مواطنة رقمية» للفئات المهمشة، إضافةً لتسليع الأصوات بقيادة النساء والشباب. وتخلص الدراسة إلى أن التكنولوجيا تعمل كأداة محافظة تعيد هندسة الهياكل التقليدية، موصيةً بضرورة تطوير سياسات وحوكمة مرنة تتجاوز المقاربات التقييدية لاستيعاب هذا الواقع السوسيو–تقني.

الكلمات المفتاحية: القبلية الشبكية، العصبية الرقمية، الكويت، الإثنوغرافيا الرقمية، انتخابات مجلس الأمة ٢٠٢٤

Abstract:

This study deconstructs the assumptions of modernization theories by examining the paradox of "entangled modernity" in Kuwait, where digitization has reproduced tribal loyalties in hybrid forms rather than eroding them. Drawing on the "Networked Tribalism" framework and a mixed digital ethnography approach (analyzing 500 tweets and 25 interviews) during the 2024 elections, the research reveals profound structural shifts, most notably: the migration of authority from the hierarchical centrality of the Diwaniya to digital "gatekeepers"; the transformation of financial solidarity into performative rituals; the emergence of "digital citizenship" for marginalized groups; and the commodification of votes driven by women and youth. The study concludes that technology functions as a conservative tool that re-engineers traditional structures, advocating for the development of flexible policies and governance that move beyond Restrictive approaches to accommodate this socio-technical reality.

Keywords: Networked Tribalism, Digital Asabiyyah, Kuwait, Digital Ethnography, The 2024 National Assembly Elections.

معلومات المراسل: قياتي عاشور

البريد الالكتروني الرسمي: kayatyashour@art.bsu.edu.eg

Doi: https://doi.org/10.54940/ss95369971
1658-8169 / © 2026 by the Authors.
Published ***by J. Umm Al-Qura Univ. Soc. Sci.***

مقدمة

تُشكل العلاقة الجدلية بين التحديث التقني المتسارع واستمرارية البنى الاجتماعية التقليدية واحدة من أكثر الإشكاليات تعقيداً في علم الاجتماع المعاصر. فلطالما افترضت نظريات التحديث الكلاسيكية (Modernization Theories) وجود حتمية تاريخية تفضي إلى أن انتشار التعليم، والرقمنة سيؤديان بالضرورة إلى تآكل الهويات الأولية والولاءات ما دون الوطنية (Sub-national Loyalties) كالقبيلة، لصالح ترسيخ الهوية الوطنية ودولة المؤسسات (Inglehart & Welzel, 2005). غير أن الواقع المعاش في مجتمعات "الجنوب العالمي"، وتحديداً في منطقة الخليج العربي، يقدم سردية سوسيولوجية مغايرة تتحدى هذه المسلمات؛ إذ لم تعمل التكنولوجيا كأداة "للفردنة" (Individualization) تفكيك الروابط الجمعية كما نظّر لها زيجمونت باومان، بل تحولت -للمفارقة- إلى بنية تحتية رقمية أعادت تنشيط التضامنات العصبية ومنحتها زخماً وظيفياً جديداً (Bauman, 2000; Castells, 2010).

ويتقاطع هذا التحول مع مراجعات نظرية أحدث ترى أن الرقمنة لا تُنتج بالضرورة فضاءات تحررية، بل قد تعمل كآلية لإعادة إنتاج البُنى القائمة داخل أطر خوارزمية تعيد توزيع السلطة بدل تفكيكها (Couldry & Mejias, 2019; Bucher, 2018; Gerbaudo, 2018). في هذا السياق، يمثل المجتمع الكويتي مختبراً بحثياً فريداً لفحص ديناميكية "الحداثة المتشابكة" (Entangled Modernity)؛ فهي تجمع بين بنية قبلية راسخة تتوغل في عمق المشهد السياسي، وبين بنية اتصالية فائقة التطور تجاوزت فيها نسبة انتشار الإنترنت 99%، مما جعل منصة "إكس" (تويتر سابقاً) تشكل المجال العام الفعلي للنقاش السياسي (DataReportal, 2024).

إن هذا التداخل المعقد بين "المنطق الخوارزمي" و"المنطق العصبوي" أنتج ظاهرة هجينة تسعى هذه الدراسة لتأطيرها مفاهيمياً تحت مسمى "القبلية الشبكية" (Networked Tribalism)؛ وهي دمج الروابط القبلية التقليدية بآليات الاتصال الرقمي التي تتجاوز الحدود الجغرافية المادية فيما يُعرف بـــ "فضاء التدفقات" (Space of Flows). وعلى الرغم من الثراء الملحوظ في الأدبيات التي تناولت الحياة السياسية الكويتية وصورت القبيلة ككتلة تصويتية جامدة (Freer, 2018; Gengler, 2015)، إلا أن ثمة فجوة معرفية تتعلق بـــ "ميكانيزمات" التحول الرقمي لهذه الكيانات؛ فالقبيلة في الكويت فاعل ديناميكي لعب دوراً محورياً في بناء الدولة وصياغة الهوية الوطنية ضمن السياق الخليجي (Freer & Al-Sharekh, 2021).

ومع تصاعد الرقمنة، لم تعد التكنولوجيا مجرد وسيط، بل أصبحت عاملاً بنيوياً أثر في التوجهات السياسية والمواقف العامة (Al-Kandari & Hasanen, 2012). وقد تجلى ذلك في انزياح دور القبائل من مربع التحالف التقليدي مع السلطة إلى الانخراط في أدوار المعارضة السياسية الفاعلة (Abu Sulaib, 2024). وتبرز المشكلة البحثية هنا في فهم الكيفية التي تحولت بها القبيلة من كيان اجتماعي تقليدي إلى فاعل سياسي وسيط يمتلك أدوات حديثة "لتعبئة الموارد" (Resource Mobilization) وممارسة الضغط السياسي خلال انتخابات 2024، بعيداً عن الأطر الرسمية.

تأسيساً على ذلك، تجادل الدراسة بأن الفضاء السيبراني -وتحديداً منصة إكس- قد وفر "بنية فرص سياسية" مكنت القبائل من تجاوز القيود القانونية والجغرافية، وإعادة إنتاج نفسها كجماعات ضغط حديثة تدير عمليات معقدة تشمل الحشد للانتخابات، وممارسة الرقابة الشعبية الفورية، وتنظيم حملات التكافل المالي (الفزعات). وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من تقديم تحليل وظيفي يكشف كيف تكون التكنولوجيا عاملاً محافظاً يعزز الهويات الفرعية بدلاً من صهرها، مما يثري النقاش العالمي حول حدود الديمقراطية الرقمية في الدول الريعية.

تساؤلات الدراسة

تأسيساً على الإشكالية المطروحة، وتجاوزاً للطرح الوصفي التقليدي، تتحدد البوصلة البحثية لهذه الدراسة في الإجابة على أربعة تساؤلات مركزية تكشف الديناميات المعقدة للظاهرة:

1. كيف أثر الفضاء الرقمي على إعادة هندسة تراتبية القوة داخل القبيلة، وما هي آليات انتقال مركز الثقل من الوجاهة التقليدية إلى النخب التقنية الجديدة؟
2. ما هي آليات ممارسة التضامن المالي الرقمي (الفزعة) عبر المنصات، وكيف تُوظف كفعل أدائي لمراكمة رأس المال الرمزي وتعزيز المكانة الاجتماعية للفاعلين؟
3. كيف يوفر الفضاء السيبراني آليات تعويض اجتماعي ومواطنة رقمية بديلة للفئات المهمشة (تحديداً فئة البدون) في ظل غياب أطر التمثيل الرسمي؟
4. ما هي الآليات المجهرية التي تحكم سوق "تسليع الأصوات" (التبادل)، وكيف تمارس النساء والشباب فاعلية سياسية خفية عبر الشبكات المشفرة؟

أهداف البحث

تسعى هذه الدراسة بشكل رئيسي إلى تفكيك افتراضات نظريات التحديث حول زوال القبيلة، وذلك من خلال تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

1. الكشف عن التحولات البنيوية في هيكل السلطة القبلية، ورصد انتقال مركز الثقل من "الشيخ التقليدي" ومركزية المكان (الديوانية)، إلى "حراس البوابة الجدد" (النخبة الرقمية) داخل فضاء الشبكات.
2. تحليل الاقتصاد السياسي للعصبية الرقمية، وفهم كيفية تحول ممارسات التكافل المالي (الفزعة) من فضيلة اجتماعية مستترة إلى طقوس استعراضية تخضع لمنطق السوق الرمزي والمراقبة المتبادلة.

3. استكشاف الوظيفة التعويضية للفضاء السيبراني، وتحديداً دوره في توفير آليات "تعويض اجتماعي" ومواطنة رقمية بديلة للفئات المهمشة (مثل فئة البدون).

4. فحص الديناميات المجهرية والمسكوت عنها في العملية الانتخابية، مثل سوق "تسليع الأصوات" (التبادل)، والفاعلية السياسية الخفية للنساء والشباب عبر الشبكات المشفرة.

أهمية البحث العلمية والعملية

تكتسب هذه الدراسة أهميتها العلمية (النظرية) من سعيها لسد الفجوة المعرفية القائمة في الأدبيات السوسيولوجية العربية، التي غالباً ما تفصل بين دراسة "القبيلة" كبنية اجتماعية تقليدية، ودراسة "المنصات الرقمية" كأدوات تقنية محايدة. وتبرز القيمة المضافة لهذا البحث في تقديمه إطاراً تحليلياً "سوسيو–تقنياً" مدمجاً يتجاوز التفسيرات الثقافية السطحية أو فرضيات التحديث الحتمية التي تنبأت بزوال القبيلة؛ حيث تؤصل الدراسة لمفاهيم جديدة مثل "القبلية الشبكية" و"العصبية الرقمية" عبر المزاوجة بين سوسيولوجيا ابن خلدون ونظريات مجتمع الشبكات، مما يسهم في تفسير قدرة الهياكل التقليدية على إعادة إنتاج نفسها وظيفياً داخل بيئات الحداثة السائلة.

أما على الصعيد العملي (التطبيقي)، فتنبع أهمية الدراسة من راهنية موضوعها وارتباطه المباشر بفهم التحولات العميقة في السلوك الانتخابي والمشهد السياسي الكويتي، كما تجلى بوضوح في انتخابات 2024. حيث توفر النتائج لصانعي القرار والمؤسسات المعنية رؤية معمقة حول عدم جدوى المقاربات القانونية التقليدية (مثل تجريم الفرعيات) أمام المرونة التقنية للقبيلة، وتكشف عن الآليات الخفية للحشد والتأثير التي تمارسها فئات جديدة كالنساء والشباب والفئات المهمشة (البدون). وعليه، تمثل هذه الدراسة وثيقة مرجعية تساعد في توجيه السياسات العامة نحو تبني نماذج حوكمة رقمية أكثر مرونة، قادرة على استيعاب هذا الواقع المعقد بدلاً من الصدام معه.

مفاهيم البحث

1. القبلية الشبكية (Networked Tribalism)

تعتمد الدراسة في تأطيرها التحليلي على جملة من المفاهيم الأساسية، يأتي في مقدمتها مفهوم القبلية الشبكية (Networked Tribalism)، والذي يُعرف نظرياً بأنه الهيكل الهجين الناتج عن تداخل منطق العصبية التقليدي القائم على روابط الدم مع منطق الشبكات الحديث القائم على الاتصال الرقمي، وهو ما يمثل انتقالاً للقبيلة من "فضاء الأماكن" المادي إلى "فضاء التدفقات" الافتراضي وفقاً لمقاربة مانويل كاستلز (Castells, 2010)، حيث تتحول من هيكل هرمي جامد إلى شبكة عقدية مرنة تعمل كمنظمة لتعبئة الموارد.

وتُعرف إجرائياً في سياق هذه الدراسة تلك المنظومة الرقمية التي تم رصدها عبر منصة "إكس" خلال انتخابات مجلس الأمة 2024، والتي استخدمتها قبائل العينة لإدارة عمليات الحشد وتنظيم التشاوريات الإلكترونية وتوجيه القواعد الانتخابية عبر الوسوم والمجموعات المغلقة بعيداً عن الرقابة الرسمية.

2. العصبية الرقمية (Digital Asabiyyah)

تُعرف بأنها إعادة تأويل لمفهوم العصبية الخلدوني في سياق الحداثة السائلة، حيث تتحول التضامن الاجتماعي من رابطة بيولوجية تستلزم الحضور الجسدي المباشر إلى رابطة رمزية وأدائية تعتمد على الاتصال الجماهيري الذاتي، وتعد شكلاً من أشكال رأس المال الاجتماعي الذي خضع لعملية نزع مكانية ثم إعادة تضمين في الفضاء الرقمي لتعزيز الهوية الدفاعية.

وتشير إجرائيًا إلى مجموع الممارسات والسلوكيات التفاعلية التي تم تحليلها في عينة التغريدات، والمتمثلة في سرعة الاستجابة للفزعات المالية، وكثافة استخدام إعادة التغريد لتوحيد الخطاب، واستخدام لغة الإقصاء للدفاع عن القبيلة ضد المنافسين.

الدراسات السابقة

لا يمكن فهم ظاهرة "القبلية الشبكية" في المجتمع الكويتي بمعزل عن الاشتباك النقدي مع تيارين رئيسيين في الأدبيات السوسيولوجية والسياسية: الأول يعالج "معضلة ديمومة القبيلة" في ظل الدولة الحديثة، والثاني يبحث في "الآثار الديمقراطية المتخيلة" للفضاء السيبراني. تسعى هذه المراجعة إلى تفكيك هذه السرديات لتحديد الفجوة المعرفية الدقيقة التي تستهدف الدراسة معالجتها.

القبيلة والدولة الريعية: من "بقايا الماضي" إلى "المؤسسة الوسيطة"

هيمنت على دراسات الخليج العربي لعقود طويلة "البراديغمات الحتمية" (Deterministic Paradigms) المستندة إلى نظرية الدولة الريعية ونظريات التحديث. افترضت هذه الأدبيات الكلاسيكية، مثل أعمال إنجلهارت وويلزل(Inglehart & Welzel, 2005)، أن التحديث الاقتصادي وبناء المؤسسات البيروقراطية سيؤديان بالضرورة إلى استبدال الروابط العصبية بعلاقة تعاقدية مباشرة بين المواطن والدولة. وفقاً لهذا الطرح، كان يُنظر للقبيلة على أنها "من مخلفات ما قبل الحداثة" المحكوم عليها بالزوال (Gengler, 2015).

غير أن الموجة البحثية الأحدث، والتي تمثلها أعمال كورتني فرير (Freer,2018) وفرح النقيب (Al-Nakib, 2016)، وجهت نقداً لاذعاً لهذا التبسيط. فقد أثبتت الدراسات الإثنوغرافية والسياسية أن القبيلة في المجتمع الكويتي لم تندثر، بل أظهرت "مرونة تكيفية" مذهلة. تجادل هذه الأدبيات بأن القبيلة أعادت اختراع نفسها كـ "مؤسسة وسيطة" (Intermediary Institution) لا غنى عنها لملء الفراغ الذي خلفه ضعف مؤسسات المجتمع المدني الرسمي. فبدلاً من أن تكون نقيضاً للدولة، أصبحت القبيلة "تكتل مصالح سياسي" (Political Interest Group) يتفاوض مع السلطة حول توزيع الموارد والوظائف. ورغم القيمة التحليلية العالية لهذه الدراسات في دحض فرضية "موت القبيلة"، إلا أنها ظلت مقيدة بحدود "التحليل المكاني"، مركزةً جل اهتمامها على الأماكن المادية (الدواوين، المقرات الانتخابية)، مع إغفال

واضح للكيفية التي أدى بها "النزوح الرقمي" للقبائل إلى تغيير قواعد اللعبة السياسية.

الفضاء الرقمي والوهم الليبرالي: بين التفاؤل والواقع القبلي

على الجانب الآخر، شهد العقد الماضي طفرة في دراسات "الإعلام الجديد" في الشرق الأوسط، خاصة في أعقاب الربيع العربي. ركزت دراسات مفصلية، مثل أبحاث الكندري وحسنين (Al-Kandari & Hasanen, 2012) وويلر (Wheeler, 2006)، على الإمكانات التحررية لوسائل التواصل الاجتماعي، مجادلة بأن منصات مثل "إكس" (تويتر) قد خلقت "مجالاً عاماً بديلاً" (Counter-Public Sphere) يسمح للفئات المهمشة بتحدي السرديات الرسمية.

يتسم هذا التيار من تحيز معرفي واضح نحو "السردية الليبرالية" (Liberal Narrative)؛ حيث يتم تصوير الإنترنت غالباً كأداة حتمية للفردنة (Individualization) التمكين الديمقراطي، وافتراض أن الفضاءات الشبكية تُضعف الهويات الجمعية التقليدية لصالح أنماط مشاركة سياسية فردانية. ويتقاطع هذا الطرح مع أطروحات "مجتمع الشبكات" لدى مانويل كاستلز، التي ترى أن السلطة في العصر الرقمي تعيد التشكل بعيداً عن البنى الاجتماعية المغلقة. غير أن نقاشات أحدث بدأت تُراجع هذه المسلّمات، مشيرةً إلى أن المنصات الرقمية قد تعمل، في سياقات معينة، كآليات لإعادة تركيز السلطة وإحياء الانتماءات الجمعية من خلال الخوارزميات وحراس البوابة غير الرسميين، لا تفكيكها (Castells, 2010; Gillespie, 2018; Bucher, 2025).

في السياق الغربي، ناقش باحثون مثل كاس سنشتاين (Sunstein, 2017) ظاهرة "غرف الصدى" (Echo Chambers) والاستقطاب، لكن نادراً ما تم تطبيق هذه المفاهيم لفهم كيف تستخدم الجماعات التقليدية في الخليج الخوارزميات لعزل أفرادها فكرياً وتعزيز "العصبية" بدلاً من الانفتاح. إن الأدبيات الحالية تدرس "المواطن الرقمي" كفرد، وتتجاهل "القبيلة الرقمية" كبنية.

ويتسق هذا القصور مع اتجاه عام في الأدبيات العالمية حول الإعلام الرقمي، لا سيما في دراسات "الجنوب العالمي"، التي ركّزت بصورة مفرطة على الفردانية الرقمية ونماذج المشاركة الليبرالية، مع إيلاء اهتمام محدود بالبُنى الجمعية غير الرسمية—كالروابط العرقية، والدينية، والعشائرية—بوصفها فاعلين سياسيين شبكيين، رغم حضورها الكثيف في الممارسة الرقمية المقارنة (Postill, 2016; Milan & Treré, 2019).

وعلاوة على ذلك، تتجاوز الديناميات الرقمية حدود "المجال العام" المفتوح في منصة(X) ؛ حيث تشير دراسات حديثة حول "الشبكات الاجتماعية المظلمة" (Dark Social) إلى أن تطبيقات التراسل المغلقة مثل "واتساب" تلعب دوراً أخطر في تعميق "الاستقطاب الخوارزمي" بعيداً عن الرقابة، إذ تتحول "قروبات العائلة" إلى غرف صدى مغلقة تعيد تدوير سرديات المظلومية القبلية وتعمل كقنوات للتعبئة الصامتة (Jones, 2022). بالتوازي مع ذلك، برزت منصات بصرية مثل "تيك توك" كساحات لما يمكن تسميته ب "البدوية الرقمية" (Digital Bedouinism)، حيث تعمل خوارزمياتها القائمة على "الانتشار الفيروسي" على تضخيم المحتوى العاطفي والبصري للفخر القبلي، مما يعزز الهويات الفرعية لدى الجيل الجديد. ومن منظور مقارن، ورغم تشابه صعود هذه النزعات في دول مجلس التعاون الخليجي، كما في الحالة السعودية أو القطرية، إلا أن السياق الكويتي يتميز بخصوصية "التسييس البرلماني" لهذه المنصات؛ فبينما تتخذ القبيلة الرقمية في الجوار الخليجي طابعاً ثقافياً أو تراثياً غالباً، فإنها في الكويت تتحول إلى آلة سياسية انتخابية صدامية، مما يمنح الحالة الكويتية أصالة تحليلية فريدة في دراسات المنطقة (KhosraviNik & Sarkhoh, 2017).

الفجوة البحثية: الحاجة إلى منظور "سوسيو-تقني" مدمج

بناءً على الاستعراض السابق، تتمثل الفجوة البحثية في قصور الأدبيات الحالية عن تطوير إطار تحليلي سوسيو-تقني يفسر التفاعل المتبادل بين البُنى الاجتماعية العميقة والتكنولوجيات الرقمية. ففي حين تتناول الأدبيات السياسية القبيلة بوصفها بنية اجتماعية أو ثقافية شبه ثابتة، غالبًا ما تُحلَّل بمعزل عن البُنى التحتية الرقمية التي أعادت تنظيم أنماط حضورها وتعبئتها، تميل أدبيات الإعلام والدراسات الرقمية—في المقابل—إلى تحليل المنصات والخوارزميات بوصفها قوى تقنية محايدة أو عابرة للسياق، مع إيلاء اهتمام محدود للهويات الجمعية غير الرسمية كفاعلين سياسيين شبكيين، لا سيما في سياقات الجنوب العالمي والأنظمة الهجينة.

تسعى هذه الدراسة إلى تجسير هذه الهوة النظرية من خلال طرح مفهوم "القبلية الشبكية" بوصفه إطاراً تحليليًا وظيفيًا، لا مجازًا ثقافيًا، يفسر كيف يندمج منطق العصبية—بوصفه رابطة اجتماعية أولية—مع منطق المنصات الرقمية وخوارزمياتها، بما يحول الانتماء القبلي من شعور اجتماعي كامن إلى آلية تعبئة سياسية خوارزمية قابلة للرصد والتحليل التجريبي. وعلى خلاف الاستخدام الثقافي لمفهوم "القبائل الجديدة" لدى مافيزولي (Maffesoli, 1996) في سياق المجتمعات الغربية، يعيد هذا الإطار توطين المفهوم ضمن سياق سياسي غير ليبرالي، حيث تصبح الهويات الجمعية موارد استراتيجية لإعادة إنتاج السلطة والتأثير في المجال العام الرقمي.

وتاسيساً على ذلك، تسعى هذه المراجعة لتفكيك السرديات السابقة وتحديد الفجوة المعرفية الدقيقة. في هذا السياق، لا يمكن فهم القبلية الشبكية بمعزل عن الأطر النظرية المعاصرة التي تتناول المنصاتية (Platformization) ورأسمالية المراقبة (Surveillance Capitalism)، حيث تعمل المنصات الرقمية كبنى تحتية تعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية والسياسية (A Kapoor et al.,2021; Alshawaaf, 2025). إن التفاعل بين منطق العصبية التقليدي ومنطق الخوارزميات الحديث لا يؤدي بالضرورة إلى اضمحلال الأول، بل قد يعيد إنتاجه بأشكال هجينة ومعقدة، مما يستدعي تحليلاً نقدياً لكيفية استغلال هذه المنصات لإعادة ترسيخ الولاءات الأولية وتوجيه الديناميات

السياسية Khamis, 2019; Peterson, 2020; Alrehaili, 2025).

الإطار النظري والمفاهيمي

تتطلب الطبيعة الهجينة لظاهرة "القبلية الشبكية" في المجتمع الكويتي تجاوز الأطر النظرية الأحادية، سواء كانت تلك المستمدة من التراث الخلدوني الكلاسيكي أو نظريات الحداثة الغربية. لتفكيك التعقيد الكامن في هذه الظاهرة، تتبنى هذه الدراسة إطاراً نظرياً توليفياً (Theoretical Synthesis) يدمج بين ثلاثة حقول معرفية متكاملة: سوسيولوجيا التضامن العصبي (ابن خلدون)، ونظرية مجتمع الشبكات (مانويل كاستلز)، ومنظور تعبئة الموارد (مكارثي وزالد). يهدف هذا الدمج إلى صياغة نموذج تحليلي جديد نطلق عليه "العصبية الشبكية" (Networked Asabiyyah)، والذي يفسر كيف تعيد البنية التحتية الرقمية إنتاج التضامن التقليدي وتوظيفه سياسياً.

من رابطة الدم إلى رأسمال اجتماعي: إعادة قراءة ابن خلدون

ينطلق هذا الإطار من إعادة تأويل مفهوم "العصبية" (Asabiyyah) لابن خلدون، ليس باعتبارها مجرد رابطة بيولوجية بدائية، بل كشكل مكثف من أشكال "رأس المال الاجتماعي" (Social Capital)، يتسم بالثقة العالية والالتزام المتبادل (Khaldun, 1967). في سياق الحداثة الكويتية، نجادل بأن العصبية لم تختفِ، بل خضعت لعملية "نزع مكانية" (Disembedding) من سياقها البدوي التقليدي، ثم "إعادة تضمين" (Re-embedding) في الفضاء الرقمي. هنا، تتحول العصبية من "واقع مادي" إلى "قوة رمزية" (Symbolic Power) قابلة للتداول عبر الشبكات، مما يتيح للأفراد استحضار الهوية الجمعية والمطالبة بالحماية والدعم دون الحاجة للحضور الجسدي المباشر.

البنية التحتية للتضامن: القبيلة في "فضاء التدفقات"

لفهم "الميكانيكية" التي تعمل بها هذه العصبية الجديدة، تستعير الدراسة مفاهيم مانويل كاستلز حول "مجتمع الشبكات" (Network Society)، وتحديداً تمييزه بين "فضاء الأماكن" و"فضاء التدفقات" (Space of Flows). تفترض الدراسة أن القبائل الكويتية قد هاجرت وظيفياً إلى "فضاء التدفقات" الرقمي، مستفيدة من خاصية "الاتصال الجماهيري الذاتي" التي تتيحها منصات مثل "إكس" (Castells, 2010). تتيح هذه البنية الشبكية للقبيلة التحول من "هيكل هرم" (Hierarchical Structure) يسيطر عليه الشيخ التقليدي، إلى "شبكة عقدية" (Nodal Network) مرنة ولا مركزية. في هذا الفضاء، تعمل الهاشتاجات (Hashtags) كأدوات للتجميع الفوري(Instant Assembly) ، مما يقلل بشكل جذري من تكلفة التنسيق والاتصال بين أفراد القبيلة.

الوظيفة السياسية: القبيلة كمنظمة لتعبئة الموارد

أخيراً، ولربط البنية (الشبكة) والمحرك (العصبية) بالسلوك السياسي، نوظف نظرية تعبئة الموارد (Resource Mobilization Theory). وفقاً لهذا المنظور، تُعامل القبيلة الشبكية كـ "منظمة حركة اجتماعية" (Social Movement Organization) عقلانية، تستخدم التكنولوجيا لتعظيم مواردها السياسية (الأصوات الانتخابية) والمالية (التبرعات) (McCarthy & Zald, 1977). تجادل الورقة بأن الرقمنة وفرت للقبائل ما يمكن تسميته بـ "هيكل الفرص الرقمية" الذي يسمح لها بالالتفاف على القيود القانونية (مثل تجريم الفرعيات) وممارسة ضغوط سياسية فعالة.

تشير "العصبية الشبكية" في هذه الدراسة إلى نمط تفاعلي سوسيو-تقني تُعاد فيه صياغة روابط التضامن التقليدية عبر المنصات الرقمية، بما يسهم في تشكيل أنماط جديدة من الانتماء والتفاعل الاجتماعي والسياسي داخل المجال العام.

واستناداً إلى التقاطعات المعرفية بين النظريات الثلاث السابقة، تطرح الدراسة نموذجاً تحليلياً مركباً نطلق عليه "نموذج العصبية الشبكية" (Networked Asabiyyah Model). يفترض هذا النموذج أن استمرارية القبيلة في العصر الرقمي لا تعتمد على الجمود، بل على "دورة حياة ديناميكية" تتحرك في حلقة مغلقة لضمان البقاء والتأثير. يوضح الشكل (1) أدناه التفاعل الدائري بين أبعاد هذا النموذج، حيث تمثل أضلاع المثلث المكونات البنيوية (السلطة، المال، الهوية)، بينما تمثل الأسهم حركة "تعبئة الموارد" المستمرة التي تربط بينهم.

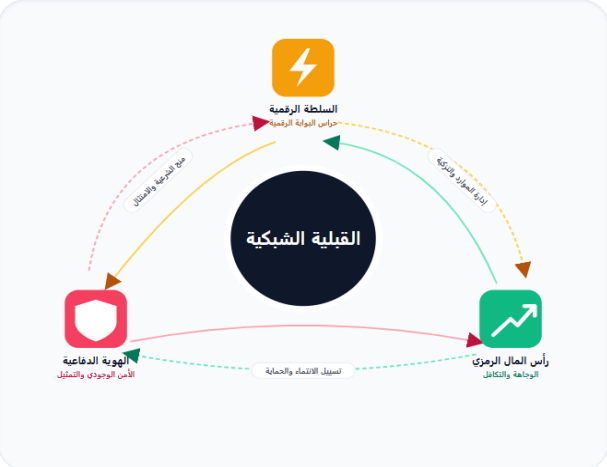

شكل (1): نموذج "العصبية الشبكية" المقترح

كما يتضح في الشكل أعلاه، تعمل "القبيلة الشبكية" كنظام مغلق وذاتي التغذية يرتكز على ثلاث دعائم:

1. السلطة الرقمية (رأس المثلث): حيث يكتسب "حراس البوابة الجدد" شرعيتهم من خلال التحكم التقني في المنصات وصناعة الرأي العام.
2. رأس المال الرمزي (الضلع الأيمن): حيث يتم تحويل هذه السلطة والنفوذ إلى مكاسب مادية ومعنوية ملموسة عبر آليات "الفزعة" والوجاهة الاجتماعية.

3. الهوية الدفاعية (الضلع الأيسر): يُعاد استثمار هذه الأموال والنفوذ لتعزيز "المواطنة الرقمية" وتوفير الحماية لأفراد القبيلة (خاصة المهمشين) ضد التهديدات الخارجية.

وتشير الأسهم الدائرية إلى عملية "تعبئة الموارد"؛ فالمال يشتري السلطة، والسلطة تحمي الهوية، والهوية القوية تحفز المزيد من الدعم المالي، مما يضمن ديمومة القبيلة في البيئة الرقمية.

منهجية الدراسة وتصميم البحث

تعتمد هذه الدراسة في إطارها المنهجي على تصميم "الإثنوغرافيا الرقمية" (Digital Ethnography) القائمة على تعدد التقنيات، وهو مقاربة كيفية (Qualitative Approach) تسمح باستكشاف الظواهر الاجتماعية الناشئة في الفضاء السيبراني في سياقها الطبيعي. يستند هذا التصميم، المستلهم من أعمال سارة بينك وآخرين (Pink et al., 2016)، إلى مسلمة مفادها أن الفهم العميق للسلوك الرقمي يتطلب تجاوز الملاحظة السطحية للنصوص، للوصول إلى المعاني الكامنة والدوافع السياقية لدى الفاعلين. ولتحقيق ذلك، دمجت الدراسة بين مستويين من جمع البيانات (الملاحظة غير المشاركة والمقابلات المتعمقة)، محققةً بذلك مبدأ "التثليث المنهجي" (Methodological Triangulation) لتعزيز موثوقية النتائج وتجاوز قصر النظر الذي قد ينتج عن الاعتماد على أداة واحدة.

مجال الدراسة: الفضاء السيبراني الكويتي

تم اختيار منصة "إكس" (تويتر سابقاً) كحقل إثنوغرافي رئيسي للدراسة؛ نظراً لكونها تمثل "المجال العام الرقمي" الأكثر حيوية في الكويت، والبيئة الحاضنة التي تتجلى فيها "العصبية الرقمية" بأكثر صورها كثافة وتنظيماً. سمحت الطبيعة المفتوحة للمنصة (API) بتتبع ديناميات "الهاشتاجات القبلية" وتدفق المعلومات بشكل منهجي. وقد انصب التركيز على رصد "البيئة الاتصالية" لثلاث قبائل كويتية كبرى –تم ترميزها بـــ (القبيلة أ، القبيلة ب، القبيلة ج) لأسباب أخلاقية– والتي اختيرت بناءً على معايير "العينة القصدية" (Purposive Sampling)؛ نظراً لثقلها الديموغرافي، ونشاطها السياسي الملحوظ (لها ممثلون في المجالس النيابية)، وتباين مواقفها السياسية (موالاة/معارضة)، مما يجعلها "حالات تمثيلية مكثفة" قادرة على عكس التحولات البنيوية قيد الدراسة.

جمع البيانات: الإثنوغرافيا الرقمية والمقابلات المعمقة

اعتمدت الدراسة استراتيجية جمع بيانات مزدوجة خلال الفترة الزمنية من 1 فبراير إلى 10 أبريل 2024، لضمان تغطية شاملة لدورة الأحداث والمناسبات التي تبرز فيها "القبلية الشبكية". بدأت هذه الاستراتيجية بـــ "الملاحظة الرقمية وتحليل المحتوى"، حيث تم تجميع عينة قصدية من (500) تغريدة تفاعلية. وفي هذا السياق، لم تسعَ الدراسة إلى تحقيق تمثيل إحصائي كمي للبيانات الضخمة (Big Data)، بل ركزت على التحليل الكيفي العميق (Deep Qualitative Analysis) للنصوص؛ إذ تم اختيار التغريدات التي تمثل نقاط تحول في الخطاب، مما يجعل العينة ممثلة نوعياً (Qualitatively Representative) لا رقمياً. وقد ركزت هذه العينة المختارة على الأحداث المفصلية التي شهدت نشاطاً عصبوياً مكثفاً.

وقد تم الاكتفاء بحجم هذه العينة (500 تغريدة) لكونها حققت التشبع التحليلي؛ حيث توقفت عملية الجمع عند النقطة التي بدأت فيها الأنماط الموضوعاتية بالتكرار دون تقديم رؤى تفسيرية جديدة، مما يجعلها عينة كافية للوصول إلى استنتاجات كيفية رصينة.

تم اختيار التغريدات بناءً على معايير "الانتشار الفيروسي" (Viral Spread) ولتجنب تحيز الاختيار، تم تعريف الانتشار إجرائياً في هذه الدراسة بالتغريدات التي حققت عتبة تفاعل (Interaction Threshold) تتجاوز 500 حالة تفاعل (مجموع الإعجابات وإعادة التغريد)، أو تلك التي أحدثت سلسلة ردود (Thread) أثرت بشكل ملموس في توجيه النقاش العام خلال فترة الرصد، مما يضمن أن البيانات المحللة تمثل التيار السائد في الخطاب الرقمي وليس مجرد آراء هامشية.

وإدراكاً للتحديات التقنية المرتبطة بمنصة (X)، لا سيما انتشار الحسابات الآلية (Bots) والوهمية، خضعت العينة لعملية تدقيق يدوي مكثف. تم استبعاد الحسابات التي تظهر سلوكاً آلياً أو تفتقر إلى سجل تفاعلي بشري طبيعي. كما ساهم التثليث المنهجي مع المقابلات الميدانية في التأكد من أن التفاعلات المرصودة تعبر عن فاعلين حقيقيين داخل النسيج الاجتماعي الكويتي، مما حدّ من تأثير الضجيج الخوارزمي على نتائج الدراسة.

وتوازياً مع الرصد الرقمي، أجريت "مقابلات شبه مقننة" (Semi-Structured Interviews) مع (25) مشاركاً من النخبة والفاعلين الميدانيين، اختيروا وفق منهجية "المعاينة القصوية" (Maximum Variation Sampling) لضمان تمثيل كافة الفئات الفاعلة في المشهد القبلي (أنظر الجدول رقم 1). استمرت عملية جمع البيانات وإجراء المقابلات حتى تم الوصول إلى نقطة التشبع النظري، حيث لاحظ الباحثان عند المقابلة رقم 23 تكراراً واضحاً في الأنماط والسرديات دون ظهور أكواد تحليلية جديدة، مما استدعى إغلاق العينة عند المشارك رقم 25 لضمان الكفاية المنهجية (Guest et al., 2006).

الجدول (1): وصف وتوزيع المشاركين في المقابلات المعمقة

الفئة	الكود	الوصف	العدد
حراس البوابة الجدد	P1, P21, P22, P23	مديرو خدمات إخبارية، أصحاب مساحات، مديرو حملات إلكترونية.	4
المؤثرون والنشطاء	P2, P10, P11, P24, P25	نشطاء سياسيون، شعراء، مؤثرون، حسابات وهمية.	5
الوجهاء التقليديون	P7, P16, P17, P18, P20	شيوخ قبائل، وجهاء دواوين، منظمو تشاوريات سابقون.	5
الفاعلون السياسيون	P5, P6, P12	مرشحون سابقون، منسقو خدمات ومعاملات.	3
الوسطاء الميدانيون	P3, P4, P9, P19	منسقو فزعات مالية، منسقات لجان نسائية، وسطاء تبادل أصوات.	4
الفئات المهمشة	P8, P13, P14, P15	رجال دين، أكاديميون، نساء تحت الضغط، فئة البدون.	4
المجموع الكلي			25

وتقر الدراسة بحدود قابلية النقل(Transferability)؛ فالنتائج وإن كانت قابلة للتطبيق على سياقات خليجية مشابهة، إلا أنها محكومة بخصوصية الحالة الكويتية.

تحليل البيانات: منهجية موضوعاتية متكاملة

خضعت البيانات المجمعة –من النصوص الرقمية وتفريغات المقابلات– لعملية "التحليل الموضوعاتي" (Thematic Analysis) المكثف، وفقاً للإطار المنهجي الذي وضعه براون وكلارك (Braun & Clarke, 2006). تم تطبيق هذا التحليل في ثلاث مراحل متدرجة: بدأت بـــ "الترميز المفتوح" (Open Coding) لتحديد الوحدات الدلالية الأولية، ثم انتقلت إلى "الترميز المحوري" (Axial Coding) لتجميع الرموز المتشابهة في فئات تحليلية أوسع تربط بين الممارسات الرقمية (التغريد، إعادة التغريد، إرسال الروابط) والمفاهيم النظرية (العصبية، رأس المال الاجتماعي، تعبئة الموارد). وأخيراً، جرى توظيف الاستنباط النظري (Theoretical Deduction) لربط هذه الفئات بالإطار المفاهيمي للدراسة وأسئلتها البحثية، مع الاستعانة ببرنامج NVivo (v.12) لإدارة كم البيانات الضخم وضمان الدقة والموثوقية في عملية الترميز والتصنيف.

إجراءات الترميز والتحليل

لضمان دقة الانتقال من البيانات الخام إلى النتائج، تم تطوير دليل ترميز (Codebook) ديناميكي مر بمرحلتين. في المرحلة الأولى (الاستقرائية)، قام الباحثان بشكل منفصل بقراءة عينة عشوائية (10%) من البيانات لتوليد الأكواد الأولية (Open Codes). وفي المرحلة الثانية، تم عقد جلسات مراجعة الأقران الداخلية لمناقشة التباينات في الترميز والوصول إلى توافق (Consensus) حول التعريفات الإجرائية للفئات التحليلية (مثل: ما الذي يصنف كـــ ضغط اجتماعي مقابل حشد سياسي). تم استخدام برنامج NVivo لربط المقتطفات النصية (Quotes) بالأكواد، مما يضمن وجود سلسلة أدلة (Chain of Evidence) متماسكة تربط بين الادعاءات النظرية والبيانات الميدانية.

الوثوقية والصدق البحثي

لتعزيز الرصانة المنهجية للدراسة، تم تطبيق معايير لينكون وجوبا (Lincoln & Guba, 1985) من خلال الآليات التالية:

التثليث المنهجي(Triangulation): تمت مقاطعة البيانات المستمدة من ثلاثة مصادر مختلفة (تحليل التغريدات، المقابلات المعمقة، وملاحظات المساحات الصوتية) للتحقق من اتساق النتائج؛ حيث استخدمت المقابلات لتفسير السلوكيات الظاهرة في التغريدات.

الاعتمادية(Dependability): احتفظ الباحثان ب مسار تدقيق موثق يشمل البيانات الخام، ومسودات الترميز، وقرارات التحليل، لتمكين أي مراجع خارجي من تتبع منطق البحث.

الانعكاسي (Reflexivity): قام الباحثان بتدوين مذكرات انعكاسية، لرصد تحيزاتهم وموقعيتهم كجزء من النسيج الاجتماعي المدروس. وشمل ذلك ممارسة النقد الذاتي المستمر لضمان عدم تأثير الانتماءات الثقافية أو المواقف السياسية المسبقة على تفسير الرموز القبلية، مع عرض النتائج الأولية على مراجعين أقران لضمان حياد التحليل وموضوعيته العلمية.

الاعتبارات الأخلاقية

نظراً للطبيعة الحساسة لموضوع البحث الذي يتناول الديناميات الاجتماعية والسياسية في سياق قبلي، تم إيلاء اهتمام خاص لضمان أعلى معايير الأخلاقيات البحثية .(ASA, 2020) تم الحصول على موافقة مستنيرة (Informed Consent) من جميع المشاركين في المقابلات المتعمقة، مع ضمان حقهم في الانسحاب وحماية خصوصيتهم عبر استخدام رموز تعريفية .(Pseudonyms) أما فيما يتعلق بتحليل التغريدات من منصة X، فقد تم التعامل معها كبيانات متاحة للجمهور (Markham & Buchanan, 2021)، مع اتخاذ تدابير إضافية لطمس أسماء المستخدمين العاديين (Anonymization) لتجنب أي ضرر محتمل، والتركيز على تحليل الأنماط العامة للخطاب بدلاً من التشهير بالأفراد.

نتائج الدراسة

المحور الأول: رقمنة السلطة: صعود "حراس البوابة" وتآكل المركزية التقليدية

كشف التحليل المتقاطع (Cross-Analysis) للبيانات عن حدوث انزياح بنيوي في مركز الثقل السياسي للقبيلة، حيث تحولت "السلطة" من كونها ممارسة وجاهية مرتبطة بالمكان (الديوانية)، إلى ممارسة تقنية مرتبطة

بالقدرة على التحكم في تدفق المعلومات (الشبكة). لم تعد "التزكية" – بمعنى اختيار واعتماد مرشح القبيلة– مجرد اتفاق شفهي بين كبار السن، بل تمت إعادة هندستها لتصبح عملية "إشهار رقمي" معقدة تديرها كيانات إعلامية غير رسمية. يوضح الجدول (2) أدناه التصنيف النمطي للفاعلين الجدد والتقليديين الذين رصدتهم الدراسة، وكيفية تغير أدوارهم في هذا النظام البيئي الجديد.

الجدول (2): تصنيف الفاعلين في "القبيلة الشبكية"

نوع الفاعل	مصدر الشرعية	الأدوات المستخدمة	الوظيفة في الشبكة	الديناميكية
الشيخ التقليدي	الوجاهة، السن، النسب، التاريخ (رأسمال رمزي موروث).	الديوانية، الزيارات الميدانية، المصاهرات.	الغطاء الرمزي :منح البركة والموافقة النهائية (شكلياً).	تراجع :تحول إلى واجهة بروتوكولية.
حارس البوابة الرقمي	عدد المتابعين، القدرة على الوصول، التحكم في المعلومات.	حسابات تويتر الإخبارية، خدمات الواتساب، البوتات.	الشرعنة والتوجيه :صياغة الرأي العام، إعلان التزكية، الحشد.	صعود :هو السلطة الفعلية الجديدة.
الوسيط البراغماتي	المهارة التنظيمية، شبكة العلاقات، القدرة على التفاوض.	جداول إكسل، جروبات واتساب مغلقة، تطبيقات دفع.	تعبئة الموارد :إدارة "سوق الأصوات" (البدل) وجمع الأموال (الفزعة).	تكيف :يعمل في الظل (نساء/شباب).
المواطن الرقمي	التفاعل، المشاركة، الدفاع عن الهوية.	التغريد، الريتويت، المساهمة المالية.	الوقود :توفير الزخم الجماهيري والدفاع عن "الترند."	تفاعلي :يشمل المهمشين (البدون).

أولاً: مأسسة "التزكية الرقمية "

أظهر الرصد الرقمي أن الحسابات الإخبارية للقبائل (Tribal News Services) قد استولت على وظيفة "إضفاء الشرعية" (Legitimation). في تحليل التغريدات، لوحظ استخدام لغة "حسم" و"أمر" تصدر من هذه الحسابات لإنهاء الجدل حول المرشحين.

ففي التغريدة الموثقة برقم [TW-32]، لم يكتفِ الحساب بدعم المرشح، بل صاغ سردية أخلاقية حوله لفرض قبوله: "اجتمعت في الأخ العزيز مواصفات الصلاح وفرصة النجاح... خدمته لأبناء الدائرة الخامسة سوف تحكي تفاصيله الوطنية". هذا التأطير لا يقدم المرشح كخيار، بل كـــ "حتمية أخلاقية."

وتعزز هذا النمط في التغريدة [TW-315] التي وجهت تعليمات صارمة للناخبين في الدائرة الخامسة بأسلوب "التلقين المباشر": "أخواني [قبيلة ب] ... ترى المرشح [فلان] اسمه في ورقة الاقتراع، حطوا صح عند اسمه". هنا، يمارس الحساب الرقمي دور "الموجه الميداني" الذي يضمن عدم تشتت الأصوات بسبب تشابه الأسماء أو التحالفات.

هذه "السلطة الجديدة" لم تأتِ من فراغ، بل هي نتاج انتزاع واعٍ للأدوات. يفسر المشارك [Int: P-01]، وهو مدير خدمة إخبارية، ميكانيزمات هذا التحول بوضوح صادم:

"الشيخ يملك الرمزية، لكن في انتخابات 2024، نحن من نملك أدوات التنفيذ. الشيخ قد يبارك مرشحاً في مجلسه، لكن إذا لم نخرج نحن البيان الرسمي في تويتر، ونضع عليه شعار القبيلة (اللوقو)، ونصنع له الترند... فالخبر كأنه لم يحدث. السلطة انتقلت فعلياً من رأس المجلس في الديوانية إلى زر النشر في هواتفنا".

ثانياً: "الضبط القسري" وآليات الإقصاء

لم تكتفِ القبلية الشبكية بآليات التوجيه المرنة، بل مارست ما يمكن وصفه سوسيولوجياً بـــ الضبط الاجتماعي القسري الرقمي تجاه الأفراد الذين يتبنون مواقف متعارضة مع الإجماع القبلي. وقد كشفت البيانات عن توظيف مكثف لخطاب الوصم الاجتماعي والخروج عن الجماعة كأدوات رمزية لضمان الامتثال والالتزام بالقرار الجمعي، مما يعكس قدرة الشبكة على ممارسة رقابة اجتماعية فورية تتجاوز الحدود المادية للديوانية التقليدية.

في التغريدة [TW-02]، شن "مؤثر قبلي" هجوماً استباقياً ضد من يفكر في دعم مرشح خارج الإجماع، واصفاً الفعل بأنه تهديد للأمن الاجتماعي: "الاعتراض عليه وعلى من أيده... لكونهم قدموا مصلحة القبيلة على مصالح الوطن... ما هكذا تؤكل الكتف يا أخوان."!!

وفي حالة أكثر وضوحاً للضغط، توثق التغريدة [TW-53] حالة انسحاب مرشح (فلان) تحت وطأة الضغط لتجنيب القبيلة الخسارة: "الرجل اعتذر وتنازل لكي لا يهضم حق من حضّر نفسه... وأيضاً من أجل توحيد صف القبيلة". النص هنا يحتفي بـــ "الانسحاب" كفعل بطولي، مما يرسخ ثقافة "إلغاء الفرد" لصالح الجماعة.

هذا الضغط الظاهر في التغريدات، كشفت المقابلات عن وجهه المظلم في الكواليس. يؤكد المرشح السابق [Int: P-05] أن التزكية الرقمية بمثابة "حكم نهائي:"

"هي ليست ملزمة قانوناً، لكنها إعدام سياسي لمن يتجاوزها. من يقرر النزول مستقلاً خارج التزكية الرقمية، يتم حرق كرته فوراً. تنهال عليه الاتهامات... رأيت بعيني مرشحين أكفاء انسحبوا وهم يبكون قهراً".

ويتطابق هذا مع شهادة "الضحية [Int: P-06] "الذي خاض التجربة، واصفاً ما تعرض له بـــ "الموت الاجتماعي: "تم إخراجي من ثلاثة قروبات

رئيسية للعائلة كرسالة نبذ... أبناء عمومتي توقفوا عن عمل ريتويت لتغريداتي خوفاً من أن يُحسبوا عليّ".

ثالثاً: تآكل "المكان" وصراع الأجيال

أخيراً، أظهرت النتائج أن صعود "السلطة الشبكية" جاء على حساب تآكل مكانة "الديوانية" كمؤسسة سياسية. التغريدة [TW-20] تطرح فكرة ثورية وهي "الخلع الاجتماعي" للمرشح الفاشل عبر آليات الدائرة، متجاوزة الأعراف التقليدية لاحترام الكبار: "المفروض يكون هناك عرف... يقوم أبناء الدائرة بخلعه سياسياً."

هذه الجرأة الرقمية في طرح "العزل" تعكس فجوة جيلية عميقة. الوجيه التقليدي [Int: P-07] عبر عن هذا الاغتراب بمرارة، مشيراً إلى تحول الديوانية إلى ديكور:

"صار المؤثر هو ولد عمره 20 سنة... يكتب تغريدة يهز بها القبيلة من أقصاها لأقصاها... الديوانية صارت مجرد لوكيشن (موقع) للتصوير وإثبات الحضور، والقرار الحقيقي طلع من عندنا وراح للسيرفرات".

تثبت هذه البيانات مجتمعة أن الفضاء الرقمي في المجتمع الكويتي لم يحرر الأفراد من سلطة القبيلة، بل أعاد إنتاج "سلطة مركزية جديدة" (Neo-Centralization) أكثر قسوة وسرعة، يديرها "التكنوقراط القبلي" (Tribal Technocrats) بدلاً من المشايخ التقليديين.

المحور الثاني: الاقتصاد السياسي لـــ "الفزعة": رقمنة التكافل ومنطق "الاستعراض الأدائي"

لم يقتصر أثر التحول الرقمي على البنية السياسية للقبيلة فحسب، بل امتد ليعيد هيكلة وظيفتها الاقتصادية والاجتماعية الأكثر رسوخاً: "الفزعة" (التضامن المالي الجماعي). تكشف البيانات عن تحول جوهري في ممارسات التكافل؛ حيث انتقلت من كونها "واجبًا أخلاقيًا" يتسم بالستر والكتمان في المجالس المغلقة، إلى "طقس أدائي"عالي الوضوح في الفضاء الشبكي، تحكمه آليات السوق الرمزي والمراقبة المتبادلة.

أولاً: من "الصدقة الخفية" إلى "بورصة الولاء"

أظهر التحليل السيميائي للتغريدات المتعلقة بالحملات المالية (مثل الديات وسداد الديون) أن المشاركة المالية لم تعد غاية في حد ذاتها، بل وسيلة لإنتاج "رأس مال رمزي" رصدت الدراسة نمطاً سلوكياً مهيمناً يتمثل في "التوثيق البصري للتبرع"؛ حيث يعمد المشاركون إلى نشر "لقطات الشاشة" (Screenshots) للتحويلات البنكية مذيلة بأسمائهم الصريحة والهاشتاج القبلي.

في التغريدة الموثقة برقم [TW-67]، لم يكتفِ المشارك بالتبرع، بل نشر الإيصال معلقاً بعبارة معيارية: "تم التحويل.. هذا واجبنا تجاه ابن العم". وتكرر هذا النمط في التغريدة [TW-84]، مما يشير إلى أن "إشهار الفعل" أصبح أهم من الفعل ذاته.

هذا السلوك، الذي قد يبدو ظاهرياً كنوع من التفاخر، فسره المشارك – [Int: P-03] الذي أدار حملات مليونية– تفسيراً وظيفياً عميقاً بقوله:

"الفزعة الرقمية تحولت إلى بورصة للولاء. إذا دفعت سراً، أنت ساهمت في الأجر، لكن إذا دفعت علناً في تويتر، أنت تثبت للجميع أنك راعي حميّة ومحزم مليان. الرابط الإلكتروني أصبح بمثابة كشف الحضور والغياب... من يغيب اسمه عن التايم لاين يسقط من عين جماعته".

هنا، تعمل التكنولوجيا كأداة لـــ "تسييل" الانتماء القبلي؛ فالمال المدفوع هو "قسط تأمين" اجتماعي يدفعه الفرد ليضمن حماية القبيلة ومكانته فيها مستقبلاً.

ثانياً: الكفاءة التنظيمية و"تسريع الزمن"

أثبتت النتائج أن "القبيلة الشبكية" تعمل كمنظمة "تعبئة موارد" (Resource Mobilization) فائقة الكفاءة، متجاوزة البيروقراطية الحكومية والقيود الجغرافية. التغريدات [TW-64] و [TW-71] التي أعلنت عن "اكتمال مبلغ الدية" في أوقات قياسية، والتغريدة [TW-88] التي احتفت بتبرع ضخم (10 آلاف دينار)، تعكس قدرة الشبكة على حشد موارد هائلة بسرعة خاطفة.

استخدمت الحسابات القبلية تقنيات "التلعيب" عبر نشر "عداد تنازلي" للمبلغ المتبقي كما في التغريدة " :[TW-61] الباقي 2957 دينار وين قبيلة أ"). هذه التقنية تخلق حالة من "الإلحاح النفسي" تحفز التبرع الفوري. يعلق الوجيه التقليدي [Int: P-07] على هذا التسريع بمزيج من الإعجاب والأسى: "كنا نجمع الديات بالملايين وتستغرق سنة كاملة من اللف على الدواوين... اليوم بفضل الرابط وتويتر، يجمعون المليون في 48 ساعة! التكنولوجيا ألغت الجغرافيا".

ثالثاً: الإكراه الاجتماعي و"تسليع النخوة"

على الرغم من المظهر التضامني، كشف التحليل عن "وجه قسري" للفزعة الرقمية. التغريدة [TW-66] استخدمت لغة عاطفية ضاغطة: "الفزعة يا] قبيلة ب] .. لا تخلون ولدكم... تكفون يا عيال ...". هذا الخطاب، عندما يقترن بـــ "شفافية" التكنولوجيا (حيث يعرف الجميع من تبرع ومن لم يتبرع)، يولد ضغطاً هائلاً على الأفراد.

أكد المشاركون في المقابلات تعرضهم لما وصفوه بـــ "الابتزاز العاطفي". يشير الناشط [Int: P-02] إلى أن التقنية "جردت العمل الخيري من سريته وقدسيته"، بينما وصف التاجر [Int: P-19] هذه الظاهرة بـــ "تسليع النخوة" و"المهايط" (الاستعراض المذموم)، معتبراً أن التكنولوجيا حولت الفزعة من "ستر" إلى "سيرك رقمي" يضطر فيه الجميع للمشاركة لتجنب "الوصمة الاجتماعية"

تُظهر هذه النتائج أن القبيلة في العصر الرقمي قد أعادت اختراع نفسها كـــ "دولة رعاية موازية" (Parallel Welfare State) وسريعة الاستجابة. ومع ذلك، فإن هذه الكفاءة الاقتصادية جاءت على حساب تحويل العلاقات الاجتماعية إلى علاقات " زبائنية " (Clientelist)، حيث يتم شراء المكانة والوجاهة علناً عبر بوابات الدفع الإلكتروني، مما يعزز سلطة المجموعة على الفرد باستخدام أدوات الحداثة نفسها.

المحور الثالث: سياسات الهوية: "العصبية الدفاعية" وصناعة المواطنة الرقمية

في سياق انتخابات مجلس الأمة 2024، التي تزامنت مع جدل سياسي محتدم حول "الهوية الوطنية" وملفات "سحب الجناسي"، لم تعمل المنصات الرقمية كقنوات اتصال محايدة، بل تحولت إلى "ساحات صراع خطابي". تكشف البيانات أن القبيلة أعادت تشكيل نفسها رقمياً كـــ "قلعة هوية" لتوفير الحماية الرمزية لأفرادها في مواجهة ما اعتبرته "تهديداً وجودياً" من الدولة أو التيارات المنافسة.

أولاً: "الدرع الرقمي": السرديات التاريخية المضادة

أظهر التحليل النصي للتغريدات تصاعداً حاداً في نبرة "العصبية التفاعلية" (Reactive Asabiyyah)؛ وهي عصبية لا تنشط إلا عند الشعور بالخطر. رداً على الخطاب الرسمي والشعبي الذي ركز على قضية "المزورين" كما يظهر في التغريدة [TW-91] والتغريدة [TW-365]التي تشرح تقنياً كيفية التزوير، لم تلجأ القبائل للصمت، بل شنت هجوماً مضاداً يعيد تعريف "الوطنية."

في التغريدة الموثقة برقم [TW-93]، استند المغرد إلى سردية التضحية لإثبات الشرعية، مستحضراً الذاكرة الجمعية للغزو العراقي كدليل دامغ على الولاء: ولاء أبناء القبائل للكويت ما يحتاج شهادة من أحد. دماء شهدائنا في الغزو 1990 احتلطت بتراب الديرة... هويتنا كويتية بالتضحية والدم، مو بس بالأوراق. هذا النمط من التجذير التاريخي تكرر في التغريدة [TW-97] التي استخدمت لغة الأصالة والجذور للرد على التشكيك: لا تزايدون علينا... نحن أهل الديرة وحماتها يوم الغزو."

هذا الاستدعاء المكثف للتاريخ يهدف إلى بناء "شرعية بديلة"؛ فإذا كانت الدولة تملك "القانون" لسحب الجنسية، فالقبيلة تملك "التاريخ والدم" لإثبات الانتماء.

تفسر المقابلات هذا السلوك بأنه "آلية دفاعية" وليس هجوماً. يقول الناشط الشبابي:[Int: P-02]

"قضية الهوية كانت معركة وجودية... الحكومة استخدمت مصطلح المزورين كفزاعة... ونحن استخدمنا تويتر كـــ درع رقمي. الهاشتاجات لم تكن عنصرية، بل كانت رد فعل دفاعي لنقول: نحن هنا، ولن تُلغونا".

هذا الضغط الجماهيري أجبر حتى النخبة السياسية على التطرف؛ حيث اعترف المرشح [Int: P-05] بأنه اضطر لتبني "خطاب شعبوي متشدد" في تويتر دفاعاً عن القبيلة، خوفاً من خسارة قاعدته الانتخابية التي كانت تشعر بالاستهداف.

ثانياً: "المواطنة الرقمية" للمهمشين

إحدى أكثر النتائج السوسيولوجية عمقاً في هذه الدراسة هي الدور الذي لعبه فضاء "إكس" في دمج الفئات المهمشة، وتحديداً فئة "البدون" (Stateless) الذين ينتمون نسيجياً للقبائل.

على الرغم من حرمانهم القانوني من التصويت، أظهرت البيانات مشاركة كثيفة لهذه الفئة في حملات الحشد والدفاع (تغريدات الدعم والفزعات). كشفت المقابلة مع [Int: P-08] عن مفهوم "المواطنة الرقمية البديلة"؛ حيث توفر القبيلة الرقمية "الاعتراف الاجتماعي (Social Recognition)" الذي تمنعه الدولة. يقول بوضوح مؤثر:

"صحيح أنا ما عندي جنسية... لكن عندي قبيلة وعندي حساب تويتر. في الصندوق أنا صفر، لكن في الهاشتاج أنا رقم صعب. المشاركة في فزعة القبيلة هي طريقتي الوحيدة لأقول: أنا موجود، أنا أنتمي".

هذه النتيجة تشير إلى أن "القبلية الشبكية" توفر "الأمن الوجودي" لأفرادها، وتعمل كوعاء حاضن للهويات التي تلفظها البنية القانونية الرسمية للدولة.

ثالثاً: الاستقطاب و"غرف الصدى "

رغم الوظيفة الحمائية للقبيلة، إلا أن البيانات كشفت عن الأثر السلبي لهذا التخندق. التغريدات الرافضة لـــ "الخط الساخن للإبلاغ عن المزورين " [TW-494]، والردود العنيفة عليها، خلقت حالة من "الاستقطاب الثنائي" الحاد (نحن ضد هم / داخل السور ضد خارج السور).

يشرح الأكاديمي [Int: P-14] هذه الظاهرة من منظور تقني-اجتماعي، مشيراً إلى أن خوارزميات المنصة ساهمت في "إعادة التجييش." "التكنولوجيا لم تفتحنا على الآخر، بل خندقتنا. الخوارزميات عززت غرف الصدى... الشاب القبلي لا يرى إلا مظلوميته، والطرف الآخر لا يرى إلا التزوير. نحن نعيش في وهم الحداثة، بينما المحتوى داحس والغبراء".

تخلص هذه النتائج إلى أن الفضاء الرقمي في الكويت تحول إلى ساحة لإعادة التفاوض على "العقد الاجتماعي". في ظل محدودية بعض القنوات التشاركية التقليدية، أعادت القبائل توظيف العصبية الرقمية كآلية للتكيف والتفاوض داخل المجال العام، مما عزز الهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية الجامعة، وحوّل "الانتماء" إلى ساحة صراع يومي مفتوح.

المحور الرابع: الديناميات المجهرية: تسليع الأصوات والفاعلية الخفية للنساء والشباب

بينما ركزت المحاور السابقة على الخطاب العام الظاهر، كشف التحليل الدقيق للبيانات عن وجود "طبقة تحتية" من الممارسات البراغماتية التي تديرها شبكات منظمة بعيداً عن الأضواء. تتميز هذه الديناميات المجهرية بتحويل الصوت الانتخابي إلى "سلعة"، وبروز أدوار قيادية جديدة للنساء والشباب تتحدى الهيمنة الذكورية التقليدية.

أولاً: السوق السوداء الرقمية: تبادل الأصوات

رصدت الدراسة من التغريدات [TW-151] إلى [TW-180] صراحة غير مسبوقة في عرض وتبادل الأصوات بين الدوائر الانتخابية، وهي ممارسة تُعرف محلياً بـــ "البدل". لم تعد هذه الصفقات تتم في الزوايا المظلمة، بل أصبحت تُدار علناً عبر "وسوم" (Hashtags) مخصصة.

وثقت التغريدة [TW-151] هذا السلوك بوضوح تجاري: "مطلوب بدل: عندي صوت في الرابعة (قبيلة أ) وأبي صوت مضمون في الخامسة لـــ (قبيلة ب). الثقة موجودة. خاص". وتكرر الأمر في التغريدة [TW-153] التي استخدمت مصطلحات سوقية: "بدل راس براس.. الجاد يجي خاص."

هذه البيانات تؤكد تحول الصوت الانتخابي من "قيمة سياسية/وطنية" إلى "أصل قابل للتداول" يتم استثماره لتعظيم مقاعد القبيلة في البرلمان عبر التحالفات العابرة للدوائر.

كشفت المقابلات عن "المطبخ الخلفي" لهذه السوق. وصفت المشاركة الشابة [Int: P-09]، التي تدير تنسيقية طلابية، القبيلة بأنها "شركة مساهمة"، مضيفة:

"نحن جيل براغماتي.. نستخدم التكنولوجيا (إكسل شيت وتويتر) لتعظيم أرباح هذه الشركة. إذا كان لدينا فائض أصوات في دائرة، نستخدمها للمقايضة في دائرة أخرى. الكبار يرونه تلاعباً، نحن نراه ذكاءً سياسياً".

هذا التصريح يدعم بقوة "نظرية تعبئة الموارد"؛ حيث تتصرف القبيلة الرقمية كفاعل عقلاني يسعى للربح السياسي بأي ثمن.

ثانياً: "الفاعلية الجندرية": النساء كمديرات تنفيذيات

على نقيض الصورة النمطية للمرأة القبلية كـــ "تابع" لقرار الرجل، أظهرت النتائج أن النساء يمارسن "فاعلية خفية" (Invisible Agency) حاسمة. التغريدات الموجهة للنساء [TW-231, TW-234] كانت تركز على "الحسم" وليس مجرد المشاركة.

في المقابلات، كشفت المنسقة الانتخابية [Int: P-04] عن دور النساء في إدارة "سوق البدل" الذي ذكرناه سابقاً، مشيرة إلى أن التكنولوجيا (واتساب وتويتر) مكنت النساء من بناء تحالفات مستقلة عن الرجال:

"الرجال يتحدثون في الدواوين، لكن النساء هن من يضمن البلوك التصويتي الصلب في البيوت... أنا أتواصل مع منسقة من قبيلة أخرى، والضمان هو القسم المغلظ على المصحف. الالتزام في البدل بين النساء يتجاوز 90".%

هذه النتيجة تشير إلى أن الفضاء الرقمي خلق "مجالاً عاماً نسوياً" موازياً، يسمح للمرأة بممارسة نفوذ سياسي حقيقي تحت غطاء البنى التقليدية.

ثانياً: "القوة الناعمة" وصناعة الكاريزما

لم يكتفِ الشباب والنساء بالتنظيم، بل سيطروا على "صناعة المحتوى". أوضحت المؤثرة [Int: P-25] كيف يختلف أسلوبها عن الرجال، حيث تستخدم "القوة الناعمة" في أكس:

"الرجال يستخدمون لغة التهديد (تكفون). نحن نصنع فيديوهات عاطفية وموسيقى مؤثرة. نحن نحول المرشح من سياسي جامد إلى رمز محبوب. بدوننا، يفقد المرشح التواصل مع الجيل الجديد".

هذا يؤكد أن "الآلة الإعلامية" للقبيلة أصبحت تعتمد كلياً على المهارات التقنية والفنية للجيل الرقمي (Gen Z)، مما يمنحهم سلطة التفاوض مع المرشحين وفرض أجندتهم، كما ظهر في تغريدات الشباب المطالبة بالتغيير [TW-337]

تخلص نتائج هذا المحور إلى أن "القبلية الشبكية" ليست مجرد تكرار للقبيلة القديمة، بل هي "هيكل هجين" (Hybrid Structure) فبينما تحافظ على الواجهة التقليدية (اسم القبيلة)، فإن "محركها الداخلي" يعمل بمنطق السوق والبراغماتية، ويديره فاعلون جدد (نساء وشباب) يمتلكون المهارة الرقمية اللازمة للمناورة في البيئة السياسية المعقدة.

تُجمل البيانات الميدانية والرقمية التي تم استعراضها المشهد في استنتاج جوهري مفاده أن البنية القبلية في الكويت لم تخضع للتفكك تحت وطأة الحداثة التقنية كما تنبأ النظريات الكلاسيكية، بل شهدت عملية "إعادة هندسة" شاملة، حيث وفر الفضاء السيبراني بنية تحتية بديلة مكنت القبيلة من تجاوز القيود الجغرافية والزمنية، ومحولةً العصبية من شعور عاطفي كامن إلى موارد سياسية ومالية قابلة للتعبئة الفورية. وقد ترافقت هذه الكفاءة الوظيفية العالية مع انزياح عميق في مراكز القوى، تمثل في صعود نخبة تكنوقراطية جديدة من المؤثرين والنساء والشباب الذين سحبوا البساط تدريجياً من تحت أقدام السلطة التقليدية للمشيخة، بالتوازي مع خلق ملاذات هوية آمنة للفئات المهمشة التي وجدت في الفضاء الرقمي تعويضاً عن نقص المواطنة. وعليه، فإن هذه الديناميات مجتمعة تؤكد أن "القبلية الشبكية" تمثل نظاماً سوسيو-تقنياً معقداً يعيد إنتاج القيم التقليدية بأدوات الحداثة، وهو ما يمهد الطريق لمناقشة أعمق حول الدلالات السوسيولوجية لهذا التحول في القسم التالي.

المناقشة

تُعيد نتائج هذه الدراسة صياغة فهمنا السوسيولوجي للعلاقة المعقدة بين البنى الاجتماعية التقليدية وتكنولوجيا الاتصال في سياق "الجنوب العالمي"، وتحديداً في الدول الريعية كالكويت. فخلافاً للتنبؤات الحتمية لنظريات التحديث الكلاسيكية، التي افترضت أن الرقمنة والتوسع الحضري سيؤديان بالضرورة إلى تآكل الهويات الأولية لصالح الفردانية المدنية، تبرهن الأدلة المستخلصة أن الفضاء السيبراني قد عمل، للمفارقة، كـــ "حاضنة تقنية" أعادت إنتاج القبيلة في صيغة شبكية هجينة أكثر صلابة وفاعلية. وتُظهر النتائج أن القبيلة لم تتراجع في المجال الرقمي، بل أعادت تنظيم نفسها بوصفها فاعلًا سياسيًا شبكيًا قادرًا على الحشد والتأثير. ويتقاطع هذا الاستخلاص مع نقاشات حديثة في دراسات الإعلام والسياسة ترى أن المنصات الرقمية تميل إلى إعادة إنتاج البُنى الاجتماعية القائمة بدل تفكيكها، خصوصًا في السياقات التي تتسم بهشاشة المواطنة أو بطابع الأنظمة الهجينة، حيث تصبح الهويات الجمعية موارد تعبئة رقمية عالية الفاعلية (Inglehart & Welzel, 2005; Gerbaudo, 2018; van Dijck, 2025).

في ضوء نظرية "مجتمع الشبكات"، تكشف الدراسة عن انزياح بنيوي عميق في ميكانزمات السلطة القبلية، تمثل في الانتقال من "فضاء الأماكن"

(الديوانية والمجلس المادي) إلى "فضاء التدفقات" (المنصات الرقمية) وفقاً لتصور كاستلز .(Castells, 2010) هذا التحول لم يغير وسيلة التواصل فحسب، بل أعاد هندسة تراتبية القوة؛ إذ سحب البساط تدريجياً من تحت أقدام النخبة التقليدية المتمثلة في كبار السن والمشايخ، لصالح نخبة تكنوقراطية جديدة من "المؤثرين" ومديري الحسابات الإخبارية. هؤلاء الفاعلون الجدد، الذين يمتلكون القدرة على التحكم في "المفاتيح الرقمية"، باتوا يمارسون سلطة توجيه وضبط تفوق في تأثيرها سلطة الوجاهة التقليدية، وهو ما تجلى بوضوح في قدرتهم على فرض "التزكية الرقمية" كأمر واقع، وممارسة نوع من "العنف الرمزي" ضد المنشقين عبر حملات الإقصاء (Al-Kandari & Hasanen, 2012)، مما يؤكد أن البنية الشبكية قد تُستخدم كأداة لتعزيز الشمولية الاجتماعية والامتثال الجماعي.

وعلى صعيد الاقتصاد السياسي، تقدم الدراسة تفسيراً سوسيولوجياً مغايراً لظاهرة "الفزعة المالية"، مستندة إلى مفاهيم بيير بورديو ,Bourdieu) (1986حول تحولات رأس المال. إذ تُظهر النتائج أن انتقال التبرع من ممارسة مستترة إلى ممارسة أدائية لتعزيز رأس المال الرمزي عبر نشر "إيصالات التحويل"، يمثل آلية دقيقة لتحويل "رأس المال الاقتصادي" إلى "رأس مال رمزي" يمنح صاحبه المكانة والوجاهة والاعتراف الاجتماعي. في هذا السوق الرمزي، يصبح المال وسيلة لشراء "الانتماء" وتجديد "عقد الولاء" مع الجماعة، بينما تعمل التكنولوجيا —بما تتيحه من شفافية قسرية ومراقبة متبادلة— كأداة ضغط اجتماعي تجعل الامتناع عن المشاركة أمراً باهظ التكلفة، مما يحول القبيلة إلى ما يشبه "دولة الرعاية الموازية" (Freer, 2018) التي توفر شبكة أمان مالي لأفرادها في مقابل الخضوع التام لقراراتها.

علاوة على ذلك، تبرز الدراسة الدور الوظيفي العميق لـــ "القبيلة الشبكية" في توفير "الأمن الوجودي" —وفق منظور أنتوني جيدنز ,Giddens) — (1991 للفئات التي تعاني من قلق الهوية أو التهميش القانوني، وتحديداً فئة "البدون من أهل القبائل". ففي ظل غياب الاعتراف الرسمي، وجد هؤلاء في "المواطنة الرقمية" التي تتيحها القبيلة عبر منصة "إكس" تعويضاً رمزياً وملاذاً آمناً؛ حيث يُقاس الانتماء بحجم المشاركة والتفاعل لا بالوثائق الرسمية. هذا البعد يفسر الشراسة الدفاعية التي اتسم بها الخطاب القبلي في مواجهة قضايا "الهوية الوطنية"، حيث تحولت العصبية الرقمية إلى "متراس دفاعي" يحمي الذات الجمعية من التهديدات الخارجية، ويعيد كتابة السردية التاريخية للوطن بما يضمن مركزية القبيلة فيها. وهذا يتسق مع الطروحات المعاصرة حول القوة الخوارزمية Algorithmic) Power) التي صاغتها تينا بوشر (Bucher, 2018)، حيث لم تعد المنصة مجرد وسيط محايد، بل فاعل غير بشري يمنح الظهور (Visibility) للخطاب القبلي العاطفي المتطرف على حساب الخطاب العقلاني.

وعلاوة على ذلك، فإن ما تمارسه نخب القبيلة من مراقبة وضبط يتقاطع مع مفهوم شوشانا زوبوف (Zuboff, 2019) حول السلطة الأداتية (Instrumentarian Power)؛ حيث يتم استخدام البيانات السلوكية (من تفاعل وريتويت) ليس لأغراض تجارية فحسب، بل لفرض هندسة اجتماعية قسرية تضمن الامتثال السياسي، والاذعان الاجتماعي، وهو ما يشير إلى نوع من حوكمة المنصات غير الرسمية Informal) Platform Governance) التي يمارسها الفاعلون المحليون مستغلين ثغرات البنية التقنية (Gillespie, 2018)

أخيراً، تكشف الديناميات المجهرية التي رصدتها الدراسة، والمتمثلة في "سوق تبادل الأصوات" والدور القيادي الخفي للنساء والشباب، عن الطبيعة البراغماتية الصرفة لهذه الكيانات، بما يتوافق مع نظرية "تعبئة الموارد" .(McCarthy & Zald, 1977) فالقبيلة اليوم لا تتحرك مدفوعة بعواطف الدم فحسب، بل تعمل كمنظمة مصالح عقلانية تستخدم التكنولوجيا للالتفاف على قيود النظام الانتخابي الرسمي وتعظيم مكاسبها السياسية. إن انخراط النساء والشباب في إدارة هذه العمليات المعقدة عبر التطبيقات المشفرة يكشف عن "تمكين مشروط" لهذه الفئات؛ فهي تمارس فاعلية سياسية حقيقية، لكنها تظل تعمل ضمن إطار العصبية لخدمة أهداف الجماعة .(Gengler, 2015) هذا التداخل المعقد بين "حداثة الأداة" و"تقليدية الهدف" و"براغماتية الممارسة" يقدم نموذجاً تفسيرياً جديداً لفهم المجتمع المدني في الخليج، حيث لا تموت الهويات الأولية، بل تعيد إنتاج نفسها رقمياً لتصبح الفاعل الأقوى في المجال العام. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التلازم بين مسارين متناقضين ظاهرياً –أي العاطفة الدفاعية الحادة تجاه الهوية (كما في حالة البدون من أهل القبائل) والعقلانية الأداتية الباردة (كما في سوق تبادل الأصوات) – لا يمثل خللاً في بنية القبلية الشبكية، بل هو تجسيد دقيق لما تصفه باباشاريسي (Papacharissi, 2015) بـــ الجمهور العاطفي Affective) (Publics، حيث تعمل التكنولوجيا كوسيط لشحن المشاعر الجماعية وبناء التضامن، في الوقت الذي تعمل فيه أيضاً كأداة براغماتية بحتة. هذا الازدواج يعكس طبيعة ما يسميه تشادويك (Chadwick, 2017) بـــ النظام الهجين، الذي تذوب فيه الفوارق بين المنطق التقليدي والمنطق الحديث. فالمنصات الرقمية تتيح للفاعل القبلي ارتداء قناعين في آن واحد: قناع حارس الهوية ليحقق الأمن الوجودي، وقناع التاجر السياسي ليعظم مكاسبه المادية، وهو ما يبرهن على قدرة الهياكل التقليدية على توظيف أدوات العولمة لخدمة أهداف محلية ضيقة بمهارة فائقة ,Tufekci) (2017؛ حيث تُستخدم العصبية كوقود للعاطفة، بينما تُستخدم الشبكة كأداة للمصلحة.

وعلى مستوى أوسع، فإن ظاهرة القبلية الشبكية في الكويت ليست حالة محلية معزولة، بل تتقاطع بنيوياً مع أنماط عالمية لصعود سياسات الهوية الرقمية .(Digital Identity Politics) فما تم رصده من استخدام للقبيلة كحصن دفاعي وملاذ للهوية يشابه إلى حد كبير الآليات التي

تعتمدها حركات اليمين البديل (Alt-Right) في الولايات المتحدة أو الحركات القومية الشعبوية في أوروبا؛ حيث يستخدم كلا الطرفين المنصات الرقمية لبناء ما يسميه كاستلز (Castells, 2010) بـــ هوية المقاومة (Resistance Identity) في مواجهة العولمة والدولة البيروقراطية. ورغم الاختلاف الجذري في المنطلق (حيث تعتمد القبيلة على رابطة الدم، بينما تعتمد الحركات الغربية على الأيديولوجيا)، إلا أن الهندسة الرقمية للإقصاء (Digital Architecture of Exclusion) تظل واحدة؛ فكلاهما يوظف الخوارزميات وغرف الصدى لتعزيز التضامن الداخلي وشيطنة الآخر، مما يشير إلى أن القبلية في العصر الرقمي لم تعد سمة لمجتمعات ما قبل الدولة، بل أصبحت حالة إنسانية معولمة ناتجة عن قلق الحداثة".

حدود الدراسة والانعكاسية

على الرغم من النتائج الجوهرية التي توصلت إليها الدراسة، إلا أنها تخضع لعدة محددات منهجية يجب أخذها بعين الاعتبار عند تفسير النتائج. أولاً، ركزت الدراسة حصرياً على منصة "إكس" (تويتر) باعتبارها الساحة السياسية الأولى في الكويت، إلا أن هذا التركيز قد يغفل ديناميات مغايرة تجري في منصات بصرية صاعدة مثل "تيك توك" أو عبر الشبكات المغلقة مثل "واتساب". ثانياً، يظل التحدي المتمثل في التحقق من الهوية الرقمية قائماً في دراسات الإثنوغرافيا الرقمية؛ حيث يصعب الجزم دائماً بأن الحسابات تدار بواسطة أفراد حقيقيين وليس لجان إلكترونية، وقد تم التخفيف من حدة هذا التحدي عبر "التثليث" مع المقابلات الميدانية.

ثالثاً، كون الدراسة كيفي (Qualitative)، فإن النتائج المستخلصة من العينة (25 مشاركاً) تهدف إلى تقديم "تعميم تحليلي" (Analytical Generalization) لفهم عمق الظاهرة وآلياتها، ولا تدعي "التعميم الإحصائي" على كافة أطياف المجتمع الكويتي، كما أن النتائج مرتبطة سياقياً بحدث محدد (انتخابات 2024). أخيراً، من باب الانعكاسية البحثية، يقر الباحث بـــ "موقعيته" (Positionality) كجزء من النسيج الثقافي والاجتماعي المدروس، وهو ما سهل الوصول إلى المبحوثين وفهم الرموز الثقافية من الداخل (Emic perspective)، مع الحرص المستمر على الحفاظ على المسافة النقدية اللازمة لضمان الموضوعية العلمية.

الخاتمة

تُظهر نتائج هذه الدراسة أن التحولات الرقمية في المجتمع الكويتي لم تُفضِ إلى تفكيك البُنى القبلية التقليدية كما افترضت نظريات التحديث الكلاسيكية، بل أسهمت في إعادة تشكيلها ضمن أنماط سوسيو-تقنية جديدة أكثر مرونة وقدرة على التكيف. ففي سياق ما يمكن تسميته بـــ«الحداثة المتشابكة»، لم تعد القبيلة كيانًا اجتماعيًا منغلقًا أو بقايا تاريخية آيلة للاندثار، بل تحولت إلى فاعل شبكي يعيد تنظيم حضوره ووظائفه داخل المجال العام الرقمي.

ومن خلال طرح مفهوم «القبلية الشبكية»، تسهم الدراسة في سد فجوة معرفية قائمة في الأدبيات السوسيولوجية والسياسية، التي غالبًا ما تعاملت مع الرقمنة إما بوصفها أداة تحرر فرداني، أو كقوة محايدة تقنيًا. وتُبيّن النتائج أن المنصات الرقمية، في السياقات التي تتسم بقوة الروابط الجمعية، قد تعمل كبُنى تحتية لإعادة إنتاج التضامن التقليدي، لا لإلغائه، عبر آليات خوارزمية تُعيد توزيع النفوذ وتمنح أدوارًا محورية لفاعلين جدد مثل «حراس البوابة» الرقميين، والنساء، والشباب.

كما تكشف الدراسة أن الفضاء الرقمي أتاح إمكانات جديدة لإعادة التفاوض حول الانتماء والفاعلية السياسية، خاصة لدى الفئات التي تواجه تحديات في الاندماج المؤسسي الكامل، حيث تعمل القبلية الشبكية بوصفها قنوات دعم غير رسمية، ومجالات للتعبير والمشاركة، دون أن تمثل بالضرورة بديلاً عن الأطر الرسمية للدولة. وفي الوقت ذاته، تُظهر النتائج أن هذه الديناميات لا تخلو من آثار جانبية، أبرزها تعميق الاستقطاب وتوسيع نطاق «غرف الصدى»، بما يفرض تحديات جديدة على التماسك المجتمعي.

وتشير هذه الخلاصات إلى أن التعامل مع الظواهر السياسية والاجتماعية في العصر الرقمي يتطلب مقاربات تحليلية وسياسات عامة أكثر مرونة، تتجاوز القراءات الاختزالية للرقمنة بوصفها عامل تفكيك أو تمكين مطلق. ففهم «القبلية الشبكية» بوصفها ظاهرة سوسيو-تقنية مركّبة يفتح المجال أمام تطوير أطر تنظيمية ومؤسسية قادرة على استيعاب التحولات الرقمية، وتعزيز المشاركة، والحد من الاستقطاب، بما ينسجم مع خصوصيات السياق الاجتماعي والثقافي.

وختاماً، تبرهن الدراسة على أن الرقمنة في المجتمع الكويتي لم تكن معولاً لهدم البنى التقليدية، بل كانت بمثابة مساحة تمكين أعادت إنتاج العصبية في قالب شبكي مرن. ومع ذلك، تجب الإشارة إلى أن هذه النتائج ذات تعميم تحليلي مرتبط بسياق انتخابات 2024 ومنصة (X) تحديداً؛ حيث إن طبيعة التفاعلات القبلية قد تتباين في منصات أخرى أو في سياقات زمنية خارج أوقات الحشد السياسي، مما يفتح الباب أمام الباحثين لاستكشاف استدامة هذه الأنماط في فترات الاستقرار السياسي.

التوصيات

تُقدَّم التوصيات التالية بوصفها مقترحات تحليلية تستند إلى نتائج الدراسة، ولا تهدف إلى تقييم السياسات القائمة بقدر ما تسعى إلى فتح نقاش علمي حول سبل التطوير المؤسسي الممكنة

أولاً: توصيات للسياسات العامة:

1. تبني مدخل الحوكمة الرقمية المرنة التي تعترف بوجود القوى الوسيطة كالقبيلة الشبكية، والعمل على إدماجها في قنوات الحوار الوطني الرقمي الرسمي بدلاً من محاولة إقصائها قانونياً؛ حيث أثبتت الدراسة أن المقاربات التقليدية (مثل تجريم الفرعيات) لم تعد كافية أمام القدرة التقنية للقبيلة على التكيف والالتفاف عبر الفضاءات المشفرة.

2. تقنين وتنظيم روابط الفزعات وتطوير منصات تبرع رقمية رسمية تشرف عليها الدولة، لضمان استمرارية الوظيفة التكافلية للقبيلة تحت مظلة الشفافية المؤسسية، مما يقلل من استخدام هذه الروابط كأدوات لمراكمة رأس المال الرمزي السياسي غير الخاضع للرقابة.

3. معالجة ملف غير محددي الجنسية (البدون) من منظور الأمن الاجتماعي المؤسسي؛ إذ كشفت الدراسة أن هشاشة الوضع القانوني لهذه الفئة تجعل من القبلية الشبكية ملاذاً اضطرارياً للبحث عن شبكات أمان بديلة، مما يعزز الولاءات الأولية على حساب الاندماج في دولة المواطنة.

ثانياً: توصيات للبحث المستقبلي:

1. إجراء دراسات كمية ومحوسبة (Computational Social Science) لفهم كيف تساهم خوارزميات منصة (X) وتيك توك في تعزيز "غرف الصدى" القبلية وتغذية الاستقطاب.

2. التوسع في دراسة الدور الصاعد للمرأة في التحالفات القبلية الشبكية من منظور الفعل الاستراتيجي؛ لفهم كيف تساهم النساء في إعادة تعريف الهوية القبلية بما يتوافق مع قيم الحداثة، وتجاوز الافتراضات الكلاسيكية التي تحصر دورهن في الحشد التصويتي التابع.

3. إجراء دراسات مقارنة بين "القبلية الشبكية" في الكويت ونظيراتها في السعودية وقطر، لفهم تأثير اختلاف النظم السياسية على شكل التمظهر الرقمي للقبيلة.

الإفصاح والتصريحات:

تضارب المصالح: ليس لدى المؤلف أي مصالح مالية أو غير مالية ذات صلة للكشف عنها. المؤلفون يعلنون عن عدم وجود أي تضارب في المصالح.

الوصول المفتوح: هذه المقالة مرخصة بموجب ترخيص إسناد الإبداع التشاركي غير تجاري 4.0 الدولي(CC BY- NC 4.0)، الذي يسمح بالاستخدام والمشاركة والتعديل والتوزيع وإعادة الإنتاج بأي وسيلة أو تنسيق، طالما أنك تمنح الاعتماد المناسب للمؤلف (المؤلفين) الأصليين. والمصدر، قم بتوفير رابط لترخيص المشاع الإبداعي، ووضح ما إذا تم إجراء تغييرات. يتم تضمين الصور أو المواد الأخرى التابعة لجهات خارجية في هذه المقالة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقالة، إلا إذا تمت الإشارة إلى خلاف ذلك في جزء المواد. إذا لم يتم تضمين المادة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقال وكان الاستخدام المقصود غير مسموح به بموجب اللوائح القانونية أو يتجاوز الاستخدام المسموح به، فسوف تحتاج إلى الحصول على إذن مباشر من صاحب حقوق الطبع والنشر. لعرض نسخة من هذا الترخيص، قم بزيارة:
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0

References:

Abu Sulaib, F. M. (2024). Political Tribalism in Kuwait: The Shift of Badū from the Regimes Political Ally to Political Opposition. Australian Journal of Politics & History, 70(1). DOI: 10.1111/ajph.12839.

Al-Kandari, A., & Hasanen, M. (2012). The impact of the Internet on political attitudes in Kuwait and Egypt. *Telematics and Informatics*, *29*(3), 245-253.

Al-Nakib, F. (2016). *Kuwait transformed: A history of oil and urban life*. Stanford University Press.

Alrehaili, M. (2025). #TRIBE: A STUDY ON DIGITAL TRIBALISM IN SAUDI ARABIA. PhD Dissertation, Florida Atlantic University.

Alshawaaf, N. (2025). Assessing Digital Transformation Success in Kuwaiti Government Services. Administrative Sciences, 15(12), 498.

American Sociological Association. (2020). *Code of ethics and policies and procedures of the ASA Committee on Professional Ethics*.

Bauman, Z. (2000). *Liquid modernity*. Polity Press.

Bourdieu, P. (1986). The forms of capital. In J. Richardson (Ed.), *Handbook of theory and research for the sociology of education* (pp. 241–258). Greenwood.

Braun, V., & Clarke, V. (2006). Using thematic analysis in psychology. *Qualitative Research in Psychology, 3*(2), 77–101. https://doi.org/10.1191/1478088706qp063oa

Bucher, T. (2018). *If... then: Algorithmic power and politics*. Oxford University Press.

Castells, M. (2010). *The rise of the network society* (2nd ed.). Wiley-Blackwell.

Chadwick, A. (2017). *The hybrid media system: Politics and power* (2nd ed.). Oxford University Press.

Couldry, N., & Mejias, U. A. (2019). *The costs of connection: How data is colonizing human life and appropriating it for capitalism*. Stanford University Press.

DataReportal. (2024, February 21). *Digital 2024: Kuwait*. https://datareportal.com/reports/digital-2024-kuwait

Freer, C. (2018). *Rentier Islamism: The influence of the Muslim Brotherhood in Gulf monarchies*. Oxford University Press.

Freer, C., & Al-Sharekh, A. (2021). Tribalism and political power in the Gulf: state-building and national identity in Kuwait, Qatar and the UAE. Bloomsbury Publishing.

Gengler, J. (2015). *Group conflict and political mobilization in Bahrain and the Arab Gulf: Rethinking the rentier state*. Indiana University Press.

Gerbaudo, P. (2018). *The digital party: Political organisation and online democracy* (2nd ed.). Oxford University Press.

Giddens, A. (1991). *Modernity and self-identity: Self and society in the late modern age*. Stanford University Press.

Gillespie, T. (2018). *Custodians of the internet: Platforms, content moderation, and the hidden decisions that shape social media*. Yale University Press.

Guest, G., Bunce, A., & Johnson, L. (2006). How many interviews are enough? An experiment with data saturation and variability. *Field Methods, 18*(1), 59-82.

Inglehart, R., & Welzel, C. (2005). *Modernization, cultural change, and democracy: The human development sequence*. Cambridge University Press.

Jones, M. O. (2022). *Digital authoritarianism in the Middle East: Deception, disinformation and social media*. Oxford University Press.

Kapoor, K. K., Tamilmani, K., Rana, N. P., Patil, P., Dwivedi, Y. K., & Nerur, S. (2021). A socio-technical view of platform ecosystems: Systematic review and research agenda. Journal of Business Research, 128, 94-108.

Milan, S., & Treré, E. (2019). *Big data from the South(s): Beyond data universalism*. Television & New Media, 20(4), 319–335.

Papacharissi, Z. (2015). *Affective publics: Sentiment, technology, and politics*. Oxford University Press.

Peterson, J. E. (2020). Tribe and State in the Arabian Peninsula. Journal of Arabian Studies, 10(1), 1-10.

Pink, S., Horst, H., Postill, J., Hjorth, L., Lewis, T., & Tacchi, J. (2016). *Digital ethnography: Principles and practice*. SAGE Publications.

Postill, J. (2016). *The rise of nerd politics: Digital activism and political change*. Pluto Press.

Sunstein, C. R. (2017). *#Republic: Divided democracy in the age of social media*. Princeton University Press.

Tufekci, Z. (2017). *Twitter and tear gas: The power and fragility of networked protest*. Yale University Press.

van Dijck, J. (2021). *The culture of connectivity: A critical history of social media*. Oxford University Press.

Wheeler, D. L. (2006). *The Internet in the Middle East: Global expectations and local imaginations*. SUNY Press.

Zuboff, S. (2019). *The age of surveillance capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power*. PublicAffairs.

Khaldun, I. (1967). *The Muqaddimah: An introduction to history* (F. Rosenthal, Trans.). Princeton University Press. (Original work published 1377)

Khamis, S. (2019). The online public sphere in the Gulf: Contestation, creativity, and change. *Review of Middle East Studies*, *53*(2), 190-199.

KhosraviNik, M., & Sarkhoh, N. (2017). Arabism and Anti-Persian Sentiments on Participatory Web Platforms: A Social Media Critical Discourse Study. International Journal of Communication, 11, 3614-3633.

Lincoln, Y. S., & Guba, E. G. (1985). *Naturalistic inquiry*. SAGE Publications.

Maffesoli, M. (1996). *The time of the tribes: The decline of individualism in mass society*. Sage Publications.

Markham, A. N., & Buchanan, E. (2021). Ethical considerations in digital research. In *The SAGE Handbook of Social Media Research Methods*. SAGE Publications.

McCarthy, J. D., & Zald, M. N. (1977). Resource mobilization and social movements: A partial theory. *American Journal of Sociology, 82*(6), 1212–1241.